

العَدَاوَةُ وَالشَّتْمُ وَمَخَاطِرُهُمَا

«مَا أَرْضَى الْمُؤْمِن رَبَّهُ بِمِثْلِ الْحِلْمِ»



- | | |
|--|-----------------------|
| • محاور الموضوع | • بذور المعادة |
| • توطئة | • استطلاع الأعداء |
| • عدم المعادة عَهْدُ اللَّهِ إِلَى نَبِيهِ | • وسائل الاستطلاع |
| • آثار المعادة | • الحلم إكسير العداوة |

الهدف:

بيان مخاطر العداوة على نفس الإنسان وسلوكه وعلى العلاقات الاجتماعية.

تصدير:

قال داود لابنه سليمان عليه السلام: «لَا تَسْتَغْلِبَنَّ أَنْ يَكُونَ لَكَ عَدُوٌّ وَاحِدٌ، وَلَا تَسْتَكَثِّرَنَّ أَنْ يَكُونَ لَكَ أَلْفُ صَدِيقٍ»^(١)

(١) بحار الأنوار - ج ٧١ - ص ٢٤٦

توطئة:

المعاداة والخصومة معضلة اجتماعية وأفة نفسانية إذ أنها تفكك المجتمع وتحول دون تماسكه، وتقضي على كل مظاهر التعاون والتعاقد بين أفراد، والمعاداة تضعف الأسس البنوية للمجتمع، وتهدد سقوط السقف على رؤوس أفراد، وساكنيه، هذا من جانب ومن جانب آخر فإنها تفسد النفوس وتلوث القلوب، وتورث النفاق، إذ ينبغي على الإنسان أن يمتلك سلاح الحلم ليسكن غضبه على من جهل عليه ثم يستعمله ثانية ليستصلح أعداءه بحسن المقال وجميل الأفعال.

عدم المعادة عهد الله

إلى نبيه ﷺ:

كل الذي كان يتحملة النبي ﷺ من أذية الأفراد

والمجموعات فليس من باب الخوف منهم أو الوهن والعياذ بالله، بل دفع السيئ بالحسن كان من موقع القوة والسؤدد لما له من آثار مهمة في نفس العدو على مستوى الانقلاب وحدوث ثورة داخلية عظيمة تحوله من خصم لدود إلى وليّ ودود وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الدفع بقوله: «أَدْفَعْ بِأَلْيِّ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ»^(١).

وجاء عن رسول الله ﷺ قوله:

«ما عهد إليّ جبرائيل في شيء ما عهد إليّ في معادة الرجال»^(٢).

أقول لا يوجد هناك شيء أكثر فساداً من معادة الناس من قبل الذين يحملون رسالة إلهية، إذ مهمتهم ودورهم إخراج الناس من الضلالة إلى الهدى، وإزاحة غشاوة

(١) سورة فصلت، الآية ٢٤

(٢) الكافي: ج ٢ - ص ٣٠٢

الباطل عن الأسماع والأبصار والأفتدة، ومن المعلوم أنه لا يقبل منهم شيء من قول أو لا يقتدي بفعل لهم مع رفض الناس لهم وعدم الرضا عليهم.

حصد الشر من نفوس

الآخرين يبدأ بقلعه من

نفسك:

لا يعقل الطلب من الآخرين بحصد الشرور والمعادة من أنفسهم مع انطوائه على معادة الآخرين، فالخطوة الأولى في إزالة الشرّ وحصده من النفوس للتوصل إلى عالم محكوم بالمودة والمحبة بأن يبادر كل فرد بقلع الشر من صدره، وبعبارة أخرى فالمبدأ الأول هوالتخيلة وتطهير النفس من هذه الأمراض المعضلة وإزاحة هذه الحجب الظلمانية ليكون له لياقة الدعوة إلى بناء علاقات اجتماعية محكومة بالمحبة والود، بل أكثر من ذلك فإن مجرد حصد العداوة

من صدره غير كافٍ لنشر المحبة فكيف يعطي المرء الشيء وهو فاقده، أو يأمر الآخرين بما لم يفعلهُ أو يتصف به، بل لابد من الانتقال إلى المرحلة الثانية ألا وهي التحلي بصفات الرحمة والمحبة والمودة التي تنور النفس وتجعل له نوراً يمشي فيه بين الناس، فعن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «من اضمر الشر لغيره فقد بدأ به نفسه»^(١). وقال: «إياك وملابسة الشر فانك تنيله نفسك قبل عدوك وتهلك به دينك قبل إيصاله إلى غيرك»^(٢).

أثار المعادة:

لا يخلو أي عمل من أثار ايجابية أو سلبية دنيوية أو أخروية، وعلى الفرد أو المجتمع وعلى النفس، والآثار هي:

أ- من شيم الجهال:

مجرد أن يعادي المرء الناس يكشف عن كونه جاهلاً، ولعلم صاحب النفس العدائية انه لم تصب عداوته خصمائه وإنما بدأت به فأوقعته في الجهل والى ذلك أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «معادة الرجال من شيم الجهال»^(٣) وقال عليه السلام: «رأس الجهل معادة الناس»^(٤).

ب- من سوء الاختيار:

المعادة ليست سبيلاً صحيحاً يسلكه الناس، ومن اختار العداوة على التفاهم فقد أساء اختياره فلا داعي لمغالبة الأكفاء، ومكاشفة الأعداء ومناوأة النظراء، ويدل عليه ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام:

بقوله: «من سوء الاختيار مغالبة الأكفاء ومعادة الرجال».

ج- مورثة للمعرة ومبديّة للعورة:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام محذراً من المعادة بقوله: «إياك وعداوة الرجال فإنها تورث المعرة وتبدي العورة»^(٥).

د- مظهر للغرّة ودافنة للعزة: فعن النبي صلى الله عليه وآله: «إياكم ومشاجرة الناس فإنها تظهر الغرة وتدفن العزة»^(٦).

هـ- مسقطه للمروة:

فعن النبي صلى الله عليه وآله: «من لاحى الرجال سقطت مروته»^(٧).

و- مفسدة للقلب، مورثة للنفاق:

فعن الإمام الباقر عليه السلام: «إياكم والخصومة فإنها تفسد القلب وتورث النفاق»^(٨).

بذور المعادة وحصادها:

بذور المعادة ثلاثة: قلة المبالاة، والمزاح، والانتقاد، وحصاده واحد وهو الخسران^(٩).

استصلاح الأعداء:

ليس من الصواب بل من الحماقّة أن تكون حسابات الرجل في العداوة والمحبة على حسابات رياضية بمعنى أن يضيف الأعداء والأصدقاء محاولاً أن يكون عدد أصدقائه أكثر من أعدائه هذا غبن ومن أسوء الاختيارات والخيارات عند الإنسان، بل يجب أن يعمل على أن تكون نسبة العداوة هي

صفر، وينبغي وضع خارطة له بأن يحافظ على أصدقائه ثم يرفع من نسبة هذه العلاقة معهم ثم يزيد في عددهم وقد نظمهُ أمير المؤمنين عليه السلام في بيت شعر حيث قال: وليس كثيراً ألف خل وصاحب وإن عدداً واحداً لكثير.

وسائل الاستصلاح:

إن الوسائل التي يتم الاستفادة منها حسن المقال وجميل الأفعال وحسن الشاء عليهم والمحاسنة وإعلان الرضا، كما هو مضمون مجموعة من الأخبار منها ما جاء في وصية لقمان لابنه: «يابني ليكن مما تتسلح به على عدوك وتصصره المماسحة وإعلان الرضا عنه ولا تزاوله بالمجانبة فيبدو له ما في نفسك فيتأهب لك»^(١٠).

الحلم إكسير العداوة:

لا وسيلة أوصل ولا دواء أنجع في المعادة والمخاصمة من بدايته إلى نهايته انفع وافعل من الحلم فطوبى لمن تحلى به فهو من الناجين والفائزين، وقد ورد أن ذات يوم رام قنبر أن يشتم شاتمهُ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «مهلاً يا قنبر دع شاتمك مهاناً ترضي الرحمان وتسخط الشيطان وتعاقب عدوك فوالذي فلق الحبة وبري النسمة ما أرضى المؤمن ربه بمثل الحلم، ولا اسخط الشيطان بمثل الصمت ولا عوقب الأحقق بمثل السكوت عليه»^(١١).

(١٠) بحار الأنوار ج-٧٥ ص-٣٩٢

(١١) بحار الأنوار ج-٧١ ص-٢٤ وإمامي

المفيد-ص-٩٦

(٥) بحار الأنوار ج-٧٥ ص-٢١١

(٦) بحار الأنوار ج-٧٥ ص-٢١٠

(٧) المصدر نفسه

(٨) بحار الأنوار ج-٧٨ ص-١٨٦

(٩) هي مضمون عدة روايات.

(١) غرر الحكم

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه